

حول مفهوم السودان الجديد

يحيى بن عوف - كندا

ان تعبير السودان الجديد هو اطار فكري ابتدعناه حتى يعين على استيعاب حقيقة المشكل السوداني كما يعين على حوار هادف حول هذا المشكل بما يقود إلى الحل الأمثل وفي اعتقادي أن المشكلة الرئيسية التي عانى منها السودان منذ الاستقلال في عام ١٩٥٦ والتي أعيت الأنظمة المتعاقبة في الخرطوم هي الأرضية المشتركة التي يجتمع عليها أهل السودان.

وبعبارة أخرى لم يكن هناك تطوير واع للمقومات المشتركة للشخصية السودانية بحيث يمنحها كل سوداني ولاءه على اختلاف المنابر قبلية كانت أو عرقية أو دينية. ولغياب هذه الأرضية المشتركة اتخذت السياسة في السودان وجهات تحكمها عوامل التفرقة والتجزئة مثل الطائفية والقبلية والإقليمية وكل هذه العوامل لاتعين على الصهر القومي في دولة متعددة القوميات.

وفي اعتقادي أن هذا هو الاشكال الرئيسي في السودان والذي يجب أن تتجه الأنظار إلى معالجته وإيجاد حل له. ولهذا فان أي برنامج لانقاذ السودان جدير بهذا الاسم لايد له من أن ينطلق من هذا الاطار الفكري. ومن جانبنا فقد تداولنا كحركة سياسية في هذا الأمر ملياً منذ منشأ الحركة في عام ١٩٨٣. وقد رفضنا يومذاك كما نرفض اليوم أية دعوة لفصل الجنوب أو أي جزء من القطر. وقد رفضنا يومذاك – كما نرفض اليوم- أي اتجاه لمعالجة ما يسمى بمشكلة الجنوب بمعزل عن مشكل السودان. وكان تحليلنا يومذاك أن ما يسمى بمشكلة هو في واقع الأمر مشكلة الخرطوم أي مشكلة ممارسة السلطة في الخرطوم. ولهذا فقد أثرنا النضال من أجل إعادة جذرية لهيكله الحكم في الخرطوم بالصورة التي تعكس حقيقة التنوع في السودان وتعين على بناء أرضية مشتركة للشخصية السودانية وتحقق تركيباً سياسياً واجتماعياً جديداً يمهد للتحول نحو السودان الجديد كما عزمنا على النضال من أجل خلق وضع جديد يتيح للحركة الشعبية والجيش الشعبي مثلها مثل القوى السياسية الأخرى والأقاليم المختلفة والقوميات المتعددة على امتداد السودان.. يتيح لكل هؤلاء المشاركة الفعالة في ممارسة السلطة في الخرطوم. هذه هي الخطوة الأولى والتي نتجه بعدها إلى قضية نظام الحكم في الأقاليم جميعها وليس الجنوب وحده. قضية الحكم الإقليمي في الجنوب والغرب والشرق والشمال والسودان الأوسط.

وفي تحليلنا لهذا الواقع السوداني لم تكتف بالنظرة إلى السودان المعاصر بل نظرنا إلى السودان في اطار تاريخي واسع عدنا معه إلى جذور الشخصية السودانية في التاريخ القديم. وقد أعانتنا هذه النعرة على الوعي بحقيقة هامة هي أن السودان لم يكن في ماضيه بالكم المهمل كما هو الآن فاجدادنا أقاموا قبل آلاف السنين مملكة كوش التي ازدهرت وتفاعلت مع الحضارات القديمة المجاورة حتى أن الأسرة المالكة الفرعونية الخامسة والعشرين كانت سودانية الأصل. وقد تفاعلت هي الأخرى مع الممالك الآشورية في الشرق الأوسط وخلال عبورنا في دهاليز التاريخ شهدنا كيف أن المسيحية قد جاءت إلى السودان مباشرة من منبئها في فلسطين في الوقت الذي كانت أوروبا تعيش عهد التمزق القبلي والهمجية.

كما شهدنا ونحن ننقب في دهاليز التاريخ عن ماضينا كيف قاد انتشار الاسلام والهجرة العربية للسودان إلى قيام ممالك الفنج والفور ومملكة الشلك وممالك أخرى. واعقب كل هذا الغزو التركي المصري والذي جاءت نهايته على يد المهديّة ثم الاستعمار الانجليزي المصري والذي جابهته معارضة شعبية عنيفة انتهت باستقلال السودان في عام ١٩٥٦.

اما بقية تاريخ السودان عقب الاستقلال فأمرها معروف ففي خلال العقود الثلاثة التي أعقبت الاستقلال ظل السودان في حرب مع نفسه تلتى هذه الفترة... كما شهد السودان خلال تلك الفترة أربعة انقلابات عسكرية وانتفاضتين شعبيتين وثلاث حكومات ائتلافية في ظل نظام هو مدني تعددي وفي اعتقادنا أن السبب الرئيس لتلك الحرب وذلك التقلب في الأوضاع هو فشل الحكم وعجزه عن إيجاد حل وفق منظور متكامل لمشاكل السودان.

ولهذا فقد عقدت الحركة الشعبية والجيش الشعبي العزم على أن تقوم بالتعاون مع القوى السياسية الأخرى التي تشاركها الرأي-هذا المنظور المتكامل. ويتركز برنامج خلق السودان الجديد على خمسة أعمدة مترابطة ألا وهي:

- البعث القومي السوداني
- الديمقراطية
- الوحدة الوطنية بعيدا عن التمزق الطائفي
- النمو الاقتصادي المرتكز على الاعتماد على الذات والهادف إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي وتوفير العدالة الاجتماعية.
- الاستقلال السياسي العسكري على الصعيد الخارجي والتضامن مع كل شعوب العالم المقهورة.